المنظومة

العنوان:	الجغرافيا النسوية
المصدر:	مجلة البحوث الجغرافية
الناشر:	جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات
المؤلف الرئيسي:	كريسويل، تيم
مؤلفين آخرين:	الخفاف، عبد علي حسن(مترجم)
المجلد/العدد:	ع36
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2022
الصفحات:	17 - 46
DOI:	10.36328/0833-000-036-017
رقم MD:	1376908
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الجغرافيا النسوية، النظرية النسوية، حقوق المرأة، الجغرافيات النساء
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1376908

© 2026 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

كريسويل، تيم، و الخفاف، عبد علي حسن. (2022). الجغرافيا النسوية.مجلة البحوث الجغرافية، ع36- 17 ، 46. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1376908

إسلوب MLA

كريسويل، تيم، و عبد علي حسن الخفاف. "الجغرافيا النسوية."مجلة البحوث الجغرافيةع36 (2022): 17 - 46. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1376908

© 2026 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

الجغرافية النسوية

Feminist Geography

تيم كريسويل [*]

ترجمة عبد علي الخفاف / دكتور ـ أستاذ [**]

قبل تناول النظرية النسوية –Feminist Theory أشير الى البيانات الأتية: تتعرض على صعيد العالم، واحدة من ثلاث بنات ونساء على الأقل للتحرش الجنسي في حياتهن. وتهرب (٤) مليون امرأة في كل عام بسبب ما يتعلق بتجارة الجنس. وفي عام ١٩٧٠ تشير البيانات الى أن أجور النساء تشكل نسبة ٦٠% من أجور الرجال في الولايات المتحدة الأمريكية وقد ارتفعت هذه النسبة الى ٧٧% في ٢٠٠٨. وفي المملكة المتحدة تؤدي النساء أعمالاً منزلية تصل بالمتوسط الى (٣) ساعات يوميا مقابل ساعة وأربعين دقيقة يقوم بها الرجال. تملك النساء، على صعيد العالم، نسبة ١% من الأرض فقط. وأنهن ينجزن (٣/٢) النشاطات الاقتصادية ولكن لا يحصلن سوى على (١٠%) من الدخل فقط. تشير البيانات

---

[*] انه موضوع الفصل (٨) في كتاب: فكر جغرافي ـ مقدمة نقدية للجغرافي الإنجليزي تيم كريسويل Tim Creswell الصادر عن دار النشر Wiley – Blackwell لعام ٢٠١٣ ضمن سلسلة (مقدمات نقدية للعلوم). رغم مرور (٨) سنوات على صدور الكتاب فلا زال موضوع هذا الفصل يحتفظ بقيمة علمية إذ لم يحاول الجغرافيون العرب ومنهم العراقيون تناول هذا الموضوع فقررنا نقله الى العربية. وللذمة العلمية نشير الى أننا كلفنا أحد طلبة الدكتوراه ترجمته كجزء من واجباته في مقرر (فلسفة الجغرافية في السنة التحضيرية ألا أن محاولته كانت غير دقيقة ولا تعتمد).

[**] المترجم دكتور وأستاذ في الجغرافية البشرية والدراسات السكانية. عمل في جامعات عراقية وعربية آخرها كانت جامعة الكوفة ـ نشر عدة كتب تتعلق بالنوع الاجتماعي (الجندر) والمرأة ونشر (٤١) كتاباً في الجغرافية وما حولها. 07801242365 – alkhafafabidali@gmail.com

الى أن أكثر من (٣٧) مليون أنسان يعيشون تحت خط الفقر منهم (٢١) مليون امرأة في الولايات المتحدة الأمريكية، والقائمة طويلة.

يفكر البعض منا، في بعض الأحيان، وعلى وجه الخصوص نحن أبناء العالم الغربي المتقدم أننا نعيش في عالم اللامساواة، سواء كانت هذه اللامساواة كبيرة أم قليلة، ولا نعمل شيئا.

لاتزال النساء يتعرضن الى التمييز ضدهن في مواقع العمل فيتقاضين أجورا اقل من الرجال على أن البعض منهن يعملن مديرات. أما في داخل أسرهن فعلى عاتقهن معظم العمل المنزلي وعلى الرغم من ذلك يتحملن مختلف أساليب العنف الجسدي والنفسي.

بشكل عام لايزال العديد من النساء يعشن حياة ملؤها الخوف والوجل هذا من جانب ومن جانب آخر لازالت وسائل الأعلام، وربما الآن أكثر من أي وقت مضى، تعرض النساء كوسائل لمتعة الرجل. فلا شك أن هذا الواقع، وهو واقع كثير التفصيلات، خلق البيئة التي نمت فيها جذور النظرية النسوية والحركة النسوية وما تحتاجه من خلفية سياسية ومن تبلور للمنهج النظري وذلك بعد أن أصبح واضحا أن العالم يسير باتجاه ضد النساء (انه اتجاه متوقع ومحتمل فهو جزء من اتجاه العالم نحو الرأسمالية المتوحشة التي لابد وان تضطهد الطبقات والفئات المهمشة ومنها النساء ـ المترجم).

هذا الحال بالنسبة لي واضح بشكل جيد ولا أتردد أو اشك فيه، وفي حقيقة الأمر أرى أنا شخصيا المرة بعد الأخرى أن طرح موضوع النسوية في قاعة الدرس يثير بل يفزع الطلبة ويرون فيه من الموضوعات غير المفهومة، ورغم عدم ارتياحهم للحقائق التي أشرنا إليها فهم يخجلون ولا يعلقون بشيء.

يبدو واضحا أن "النسوية " قد همشت وشوهت بنجاح كبير في الأماكن التي اعرفها جيدا وحيث درست وألقيت المحاضرات، فالنسوية في هذه الأماكن مفردة (فاحشة). لذلك كانت من أهداف هذا الفصل هي إقناعك بان النسوية هي مجموعة أفكار وممارسات عملية ممتازة تنورنا لنفهم العالم الذي نعيش فيه، أنها أفكار يفترض أن نفهمها ونهضمها ونتبناها ولا نتجنبها، أنها أفكار تفسر العلاقات المتجذرة بين النساء والرجال والتي تشكل عالمنا الذي نعيش فيه ويعد الواقع الجغرافي جزءا مهما منه.

ـ النساء والجغرافية:

يمكنك أن تلاحظ أن جميع الصور للجغرافيين المذكورين في هذا الكتاب هي صور للجغرافيين الرجال، أما النساء الجغرافيات فأنهن يشكلن حالة استثنائية محدودة فيمكنك أن ترى صورة للجغرافية (إلن سمبل ـ Ellen Semple) وللجغرافية (ان بوتمير ـ Anne Buttimer).

لقد مرت مئات السنين من عمر الجغرافية لكنك لا ترى ولا تعرف سوى عدد محدود من الجغرافيات النساء. فلماذا هذا الحال وما سر ذلك؟ قد يأتيك الجواب هو عدم قدرة المرأة على التفكير وعلى الاجتهاد، ولعلها هذه قصة معروفة (النقص في قدرة المرأة على التفكير مسألة معروفة في تراث غالبية أمم الأرض ـ المترجم). لقد أشرنا انه لم تتم الإشارة في كتاب الجغرافية التقليدية ل (ديفيد ليفينغستون ـ David Livingstone) الصادر في ١٩٩٢ سوى الى سيدتين، وقد تناول الكتاب تاريخ الجغرافية الغربية الحديثة في نصف قرن، ولربما ما بحثت أنا حول إسهأمات النساء في الجغرافية بما فيه الكفاية.

في حقيقة الأمر تخصصت النساء الجغرافيات في مختلف تخصصات الجغرافية وما حولها ولوقت طويل، وقد بذلن الجهود لأجل أن تظهر إسهاماتهن ويحصل التعرف عليها إلا انه لم يتحقق ذلك، بل لم تتم الإشارة إليهن في بعض الحالات أطلاقاً.

لقد احتكر الجغرافيون الرجال موضوع البحث في الإطار النظري للجغرافية فهم الذين حددوا ماذا تعنيه الجغرافية وماهي حدودها وحددوا ما هو جغرافي وما هو غير جغرافي فكانت الإجابات على هذه الأسئلة حكرا عليهم وذلك عبر المؤسسات التي اهتمت بموضوع الإطار النظري للجغرافية وفي مقدمة هذه المؤسسات الجمعية الجغرافية الملكية Royal Geographical Society (الجمعية الجغرافية البريطانية ومقرها لندن ـ المترجم). وكذلك دور النشر التي تبنت نشر الكتب والدوريات العلمية الجغرافية. فالرجال باعتبارهم في مواقع القوة ومواقع التأثير تصدروا هذا المشهد وتركوا النساء الجغرافيات في موقع ضعيف وفي دور ضعيف للإسهام في الفكر الجغرافي وفلسفة ومناهج الجغرافية. (لم يتعرف جيلنا الذي حصل على البكالوريوس ـ الشهادة الجامعية الأولية في الجغرافية مطلع الستينات من القرن الماضي سوى على سيدة جغرافية واحدة هي الن سمبل – Ellen Semple ـ ١٨٦٣ ـ ١٩٣٢ ـ الأمريكية ـ المترجم).

لقد بذلت الحركة النسوية جهودا كبيرة لأجل كشف الدور النسوي في علم الجغرافية ومجالاته المتعددة، فتوجه الجغرافيون المؤمنون والمهتمون بدور النساء للكشف عن جهود الجغرافيات النساء في تاريخ هذا العلم. فقد أشارت (جوليان روز ـ Gillian Rose ـ ١٩٤٧ ـ ١٩٩٥ ـ بريطانية حاصلة على الدكتوراه بعلم الاجتماع) في كتابها النسوية والجغرافية الى عمل، لم يكن اعتباطيا، استهدف دور المرأة في علم الجغرافية فطمس أعمالها، ففي واقع الأمر أن للمرأة إسهامات علمية في هذا التخصص العلمي يجب البحث فيه والكشف عنه بما فيه الكفاية والتعريف به. إذن كما تقول (روز) ثمة إسهامات كبيرة للنساء الجغرافيات في تكوين وفي تطوير هذا العلم ولكن تم العمل على أنكار ومحو هذه الإسهامات. ومن هنا تطرح (روز) السؤال من هن أولئك النساء؟ وماهي إسهاماتهن؟؟

لقد ظهرت حالة يمكن أن توصف على أنها حالة صراع بين الجغرافية منى دوموش Mona Domosh المناصرة لقضية المرأة والجغرافي (ديفيد ستودارت ـ David) بشأن رموز تاريخ علم الجغرافية، فقد كتب (ستودارت) دراسة علمية مفصلة ذات قيمة علمية كبيرة تناولت تاريخ هذا العلم وقد نشرت في ١٩٨٦، ونشرت (دوموش) من جانبها دراسة أخرى ركزت فيها على إسهأمات الجغرافيات النساء في تاريخ هذا العلم وفي اطار تاريخ الجغرافية البريطانية، فأشارت فيها الى النساء الجغرافيات اللائي عملن في شركات السفر وفي السفارات والملحقيات الثقافية والصحافة، بين ما ذكرت الرحالة البريطانية (ماري كنجسلي) والرحالة الأمريكية (إيزابيلا بيرد) وقد ضمنت (دوموش) دراستها كلام بيرد وهو:

كما هي حديقة استيس ملكي، أنها ليست أرضاً لرجل، أنها ملكي أنا بموجب محبتي لها وهذا حقي، أنا أحب فيها شروق وغروب الشمس وهو ما لا مثيل له في مكان أخر، وأحب فيها الظهيرة الحارقة والأعاصير الشديدة الغاضبة التي تهب عليها وأحب فيها منظر الجبل المطل عليها ومنظر الوادي والنهر والبحيرة حيث يشكل هذا المنظر صورة نمطية في ذاكرتي (ايزابيلا بيرد ١٩٧٩ مقتبس عن دوموش ١٩٩١).

لقد طرحت (دوموش) سؤلا محوريا في دراستها وهو: لماذا أهملت مثل هذه الكتابات والتقارير من تاريخ الجغرافية؟ لقد وجهت نقدها لدراسة (ستودارت) وهي دراسة تناولت البعثات والاستكشافات في مسار المعرفة الجغرافية، تلك البعثات ذات الطبيعة العلمية والتي لاقت تعضيداً من معاهد محدودة، أن دوموش تسال إذا ما كان (ستودارت) راغباً في التعريف بتاريخ الجغرافية فهو لماذا لا يتناول جميع الرحلات والبعثات المصرح وغير المصرح بها لأجل أن يشمل رحلات النساء؟

جزء من هذا السجال والنقاش الحاد يتعلق بموضوع الأعمال التي توصف على أنها أعمال علمية، فما هي هذه الأعمال العلمية وكيف يمكن تحديدها؟ وما الأعمال العلمية التي يمكن أن تدخل حقل الجغرافية ؟؟، وفي حقيقة الأمر جاء تحديدها وتعريفها من قبل الجغرافيين الرجال لوحدهم.

كما ان الجغرافيين الرجال هم لوحدهم حددوا مفهوم المعرفة الموضوعية، فقد كانت بالنسبة لهم هي المعرفة التي يفترض ان تكون حقيقة مقبولة من الآخرين في كل مكان. لقد رفض الجغرافيون المهتمون في الجغرافية البشرية كل معرفة تقترب من الرؤية الشخصية ولا تتسم بعمق التفكير والموضوعية. تختلف الفقرة التي تم استلامها من (ايزابيلا بيرد) كثيراً عن المشاهدات الواردة في أعمال الجغرافيون الرجال والمستقاة من بعثاتهم. ان الفقرة السابقة الذكر تؤشر صيغة وجدانية ومستوى من الذاتية وهذا هو ما وضحته دوموش. وفي الحقيقة تتنوع كثيرا قصص اللائي قمن بالرحلات، وثمة مشتركات تجمع هذه

القصص لعل أهمها اعترافهن الصريح بالأهداف الشخصية لرحلاتهن رغم ان البعض من رحلاتهن قاد الى استكشاف مناطق جديدة (يبدو ان الاستكشاف جاء جانبا ولم يكن الهدف الأساس للرحلة ـ المترجم).

لا شك ان الرحلات التي قامت بها النساء في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين قد أنتجت معرفة إلا أنها لم تكن معرفة جغرافية بالمعنى العلمي حينذاك. أهمل العمل الميداني الواسع والمسوحات التي قامت بها النساء الجغرافيات سواء داخل حقل الجغرافية أم خارجه، ولم تتم الإشارة إليها كإسهام علمي وذلك اتهامهن بقلة الموضوعية وعدم تمكنهن من نكران الذات. وهذا ما ترفضه التوجهات الجديدة للعلوم الاجتماعية وهي توجهات حصلت منذ النصف الأول من القرن العشرين (عن دوموش ـ ١٩٩١ ـ٩٩) (في هذه الفترة بدأت تتبلور مناهج العلوم الاجتماعية كعلوم ومحورها الرئيس الموضوعية ـ المترجم).

هكذا أبعدت النساء عن تاريخ علم الجغرافية وبمستويات متنوعة ووراء ذلك عدة أسباب في مقدمتها ضعف الموضوعية وعدم الثقة بالمعلومات وبالتالي يعاقب من يعتمد المعلومات المقدمة منهن من المعاهد والمؤسسات المعنية بالجغرافية. كذلك لم يسمح للعدد الأكبر منهن الانتساب الى الجمعيات الجغرافية مثل الجمعية الجغرافية الملكية في لندن وعدم تشجيعهن أساساً على الانتساب. لقد اعتبرت النساء غير جديرات بالعمل العلمي الدقيق ومن جانب آخر لا يقدرن على تحمل مشاق الرحلات الاستكشافية، من ذلك فان أية معلومة يتوصلن إليها غير موثوق بها.

أن ما تمت كتابته من بحوث ودراسات جغرافية من قبلهن ضعيفة وبعيدة عن الموضوعية وعن الدقة العلمية وفيها هامش من الذاتية. وعلى ضوء ذلك أبعدت الكتابات الجغرافية ذات السمة الشخصية التي كتبتها النساء الرحالة خارج ما تمت كتابته من قبل الرجال وأهملت (عن دوموش ـ ١٩٩١ ـ ٩٩).

في حقيقة الأمر نشير الى ان كتابات دوموش وموقفها يعود الى (٢٠) عاما (٢٠ عاما من تاريخ نشر كتاب ـ الفكر الجغرافي مقدمة نقدية في ٢٠١٣ ـ المترجم) أما اليوم فان تاريخ الجغرافية يكشف عن إسهامات نسوية جادة لكنها لازالت محدودة. نشير الى مشروع كتابة موسوعة عالمية في الجغرافية البشرية في (١٣) مجلدا فتم تكليف (٦٠) جغرافيا، حسب ما أشارت إليه عالمة الجغرافية (ليندا ماكويل) وهي تناصر المساواة بين الجنسين، ولم يتم تكليف سوى (٣) نساء فقط هن: ليندا ماكدويل وجاكلين بوجو غارنييه ـ (Jacqueline Beaujeu Garnier ـ ١٩١٧ـ ١٩٩٥) ودورين ماسي (Doreen Massey).

هكذا اقتصرت مساعي التكليف التي امتدت لخمس سنوات على (٣) نساء فقط، وكأن الجغرافية لم تلد عبر قرون من تاريخها سوى هذه النساء الثلاثة. في إصدارات حديثة كانت إسهامات النساء فيها أفضل نسبيا ففي (دليل المفكرين في المكان) على سبيل المثال، شاركت (٨) نساء من بين (٥٢) مفكراً.

انظر الى الصورة التذكارية لملاك التدريسيين في القسم الذي تعمل فيه سوف ترى ان أكثر من ٧٠% من الملاك هم من الرجال بينما الصورة المعلقة الأخرى التي تخص ملاك الموظفين تضم أكثر من ٧٠% من النساء. في أثناء دراستي للدكتوراه كانت في القسم تدريسية واحدة فقط، وحالياً أنا اعمل في قسم ملاك التدريسيين فيه (٣٠) تدريسيا بينهم تدريسية واحدة فقط أيضاً وعلى مدى سنوات طويلة. (يقول الدكتور تيم حاليا ونحن نقول حاليا في قسم الجغرافية بكلية التربية للبنات في جامعة الكوفة يعمل (٢٤) تدريسيا بينهم (٩) تدريسيات منهن (٢) بدرجة أستاذ وفي قسم الجغرافية بكلية الآداب في نفس الجامعة يعمل (٢٦) تدريسيا بينهم (٦) تدريسيات ومنهن (٤) بدرجة أستاذ مساعد ـ المترجم).

ـ ماهي الجغرافية النسوية:

تستند الجغرافية النسوية الى النظرية النسوية ـ Feminist Theoryوهنا نشير الى ان النسوية لا زالت بعيدة عن أن تكون نظرية واحدة موحدة بل هي عدة نظريات (كل منها يستند الى أساس ماركسي أو ديموقراطي أو ليبرالي ـ المترجم). خذ كتاب في الجغرافية النسوية عندها ستتفاجئ بتنوع النظريات وبالمواقع النسوية على الأنترنيت وبتعدد وجهات النظر. فعلى سبيل المثال نرى في كتاب الجغرافية النسوية ـ التنوع والاختلاف والذي شارك في تأليفه أعضاء مجموعة (المرأة والجغرافية) في معهد الجغرافيين البريطانيين وبعد (٢٠٠) صفحة من المناقشات والجدل لجوانب الجغرافية النسوية وفي السطر الأخير تقرأ لا يمكننا الاتفاق على الكيفية التي نفسر بها العلاقة بين الجغرافية البشرية والجغرافية النسوية (الجمعية الجغرافية الملكية ومعهد الجغرافيين البريطانيين / مجموعة دراسة المرأة والجغرافية ـ ١٩٩٧ ـ ص٢٠٠). لقد وجه أحد المكلفين بمراجعة الكتاب اقتراحا برفع الفصل المتعلق بالنسوية.

من الكتب الجيدة التي تناولت موضوع الجغرافية النسوية وتطورها هو كتاب: الجغرافية والجندر/ مقدمة في الجغرافية النسوية، وقد كتبته مجموعة المرأة والجغرافية في معهد الجغرافيين البريطانيين ونشر في ١٩٨٤. طرح سؤال في مقدمة هذا الكتاب مفاده هل ان التدريس والبحث الذي تقوم به هذه المجموعة يقع تحت عنوان الجغرافية النسوية أم جغرافية النساء؟ طرح هذا السؤال في وقت لا زالت مفردة (رجل ـ man) شائعة الاستعمال لتعني الأنسان (رجل وامرأة). فكثيرا ما تكون عناوين الفصول الدراسية، مثل دور الأنسان في تغيير سطح الأرض، والأنسان والطبيعة وتكتب مفردة الأنسان بمفردة الرجل man. انتقد الجغرافيون الماركسيون والجغرافيون المهتمون بالجغرافية البشرية هذا الاستخدام إلا انهم لم يقدروا على أحداث تغيير رغم نياتهم المخلصة ورغم ثوريتهم. وفي حقيقة الأمر لم يلتفت الماركسيون لموضوع الجندر ولم يعيروا له أية أهمية (عزا ماركس موضوع الجندر للطبقة الاقتصادية الاجتماعية فمحور الماركسية هو

صراع الطبقات ـ المترجم)، هذا من جانب أما من جانب آخر فأن الجغرافيين المهتمين بحقل الجغرافية البشرية فقد ركزوا على دور الرجل في قلب العملية الاقتصادية باعتباره محورها.

طرحت الفقرة الأولى من كتاب الجغرافية والجندر هذا الموضوع بالصيغة الأتية:

نحن نعرض، على سبيل المثال، دور الرجل في الحقول الزراعية ودوره في الحفر واستخراج الفحم، ولا شك أن يتم الاستغناء عن الرجال في حال غلق المنجم. كذلك عند قيامنا بمسح فان عملنا يستند الى الرجال باعتبارهم أرباب الأسر فهم الذين يقدمون الإجابات لأسئلة المسح تلك الأسئلة المتعلقة باحتياجات النقل والسكن وفرص الترفيه، ونحن بمثل هذه الأليات نكون قد تناسينا وجود النساء في هذا العالم.

الآن وبعد مرور (٢٥) عاما أصدرت الدوريات العلمية تعليماتها، ليست تلك الدوريات المعروفة بثوريتها، ذات التوجه الراديكالي الثوري فقط بل جميع الدوريات، رفضها للبحوث ذات اللغة الذكورية والتي تجعل من الرجل هو الأنسان فقط (بحوث تقصي دور المرأة ـ المترجم). نشير الى البيان الصادر عن معهد الجغرافيين البريطانيين والذي يرفض فيه نشر البحوث المكتوبة بلغة عنصرية أو بلغة جندرية (فيها إقصاء لدور المرأة ـ المترجم). أن استخدام اللغة الجندرية هو مثل وضع نقطة المكان الخطأ، هذا ما تضمنه البيان.

لقد اخذ الباحثون في حقل الجغرافية والجندر هذه التوجهات بمحمل الجد، من ذلك حصلت اهتمامات جديدة في البحث في الحياة اليومية للمرأة وما تصادفه من صعوبات ومشكلات، واعتبرت هذه الاهتمامات موضوعات جغرافية معقولة تستحق الدراسة والبحث (مجموعة المرأة والجغرافية ـ معهد الجغرافيين البريطانيين ـ ١٩٨٤ـ٢٠) وترفض هذه المجموعة تناول موضوع المرأة بمستوى ساذج وشكلي، انهم يشجعون البحوث والدراسات الجادة التي تعمل على كشف وتحديد الأسباب التي تقود الى تهميش المرأة، وهم يعملون، وفق هذا الاتجاه، على تأسيس جغرافية نسوية معروفة بمناهجها.

ما نستهدفه من هذا الكتاب هي ليست الزيادة في عدد الدراسات الجغرافية التي تتناول موضوع المرأة وإنما الوصول الى منهج جغرافي يعتبر تناول موضوع المرأة والجندر لا يقل أهمية عن تناول أي عامل اقتصادي أو اجتماعي له دور في تحول المجتمع وفي تقدمه (مجموعة المرأة والجغرافية ـ معهد الجغرافيين البريطانيين ـ ١٩٨٤ ـ ٢١).

وظّف الباحثون في حقل الجغرافية والجندر موضوعات مفتاحية للجغرافية النسوية كانت ولا زالت ذات قيمة ليومنا هذا. من هذه الموضوعات هو موضوع (الأساس أو الجوهر) وهو يستند الى تفكير ينسب الى الشيء خصائصه باعتبارها جوهرية أو أساسية وغير قابلة للتغيير. وقد وظف هذا النوع من التفكير في تفسير الجندر، فبموجبه توصف المرأة مثلا على أنها أكثر حنان وأكثر رعاية واهتمام بينما يوصف الرجل

على كونه أكثر عدائية. يفسر الجغرافيون المهتمون بحقل النسوية ان مثل هذا الاختلاف بين المرأة والرجل هو اختلاف غير بيولوجي وإنما اختلاف يعود الى صناعة المجتمع، وعلى هذا الأساس فهم يرون ان الاختلاف الجنسي (إناث ـ ذكور) هو اختلاف بيولوجي، أما الاختلاف الجندري (امرأة ـ رجل) فهو اعتبار اجتماعي.

كان مفهوم البطرياركية (الأبوية) في عام ١٩٨٤ مفهوماً محورياً في أجندة اهتمامات الحركات والنظريات النسوية وفي جدول اهتماماتها، فإذا لم نقنع ان الجندر هو تركيبه اجتماعية فأذن يفترض ان تعتبر خصائص الفرد الاجتماعية هي خصائص طبيعية بايولوجية جنسية، وعند ذاك نسأل لماذا لم تحصل عكس الصورة النمطية المعروفة وهي ان النساء هن أكثر عدوانية من الرجال وان الرجال هم الذين أكثر رحمة وعقلانية؟

تحاول التنظيرات التي تدرس موضوع البطرياركية الأبوية ان تفسر لماذا الجندر تركيبة اجتماعية وبالطريقة التي حصل فيها:

يمكن تعريف البطرياركية على أنها مجموعة العلاقات الاجتماعية بين الرجال رغم الاختلاف الهرمي بينهم، تقودهم هذه العلاقات الى ترابط والى تضامن بينهم يوصلهم الى موقف موحد للسيطرة على النساء. فالرجال على اختلاف أعمارهم وقوماتهم وأعراقهم وطبقاتهم الاقتصادية الاجتماعية، وعلى اختلاف ما يشغلونه من مناصب ومواقع، فهم متحدون لأنهم يشتركون في موضوع الهيمنة على نسائهم.

بنفس الطريقة التي يسعى بها الماركسيون تحطيم النظام الرأسمالي كنظام اجتماعي اقتصادي فيه الكثير من الظلم يسعى، رواد الحركة النسوية (من النساء والرجال) الى أنهاء النظام البطرياركي الأبوي والتخلص منه باعتباره يستند الى قدرة الرجال فقط على الهيمنة وإقصاء المرأة وتحجيم دورها في الاقتصاد وفي عوالم الثقافة والحياة بشكل عام.

يرى رواد الحركة النسوية الراديكالية الثورية ان النظام الأبوي يعمل ضد المرأة في مستويات عديدة فعلى صعيد الاقتصاد مثلا تقل أجور النساء في مواقع العمل عن أجور الرجال، وفي داخل الأسرة لا تحصل المرأة على القيمة الحقيقية للدور المحوري المسند لها، وايدلوجيا (الفكر المفلسف) يتم اعتبار النساء قد خلقن لمتعة الرجال (هذا الاعتبار يعد جريمة كبرى ضد المرأة يرفضه جوهر الأديان ـ المترجم).

تتعرض النساء دوما لسلوك مهين من النكات الجنسية (سلوك لا أخلاقي يستهدف النيل من كرامتهن ـ المترجم) وفي مكان العمل غالبا ما يتعرضن الى التحرش الجنسي والى الاغتصاب. جميع هذه الأعمال والرؤى تشكل عالما بطرياركيا أبوياً منظماً (يضع للمرأة دورا ثانويا في الحياة ـ المترجم).

كان لكتابات الناقدة الأديبة (كيت ميلت ـ Kate Millett) وبشكل خاص كتابها الموسوم السياسات الجنسية، دورها الفعال في تطوير الحركة النسوية الراديكالية ـ الثورية. لقد كشفت (ميليت) في كتابها السياسات الجنسية عن أدوار الأبوية البطرياركية في أعمال أدبية مرموقة وفي روايات كتبها الرجال ومنها روايات (لورنس ـ Lawrence) و(نورمان ميلر ـ Norman Mailer). وفي جدلها ونقاشاتها الحادة كانت (ميليت) ترى ان قوة الرجال وهيمنتهم وحكمهم في المجتمعات المعروفة لهي أكثر أهمية وأكثر عالمية من تلك القوة المستندة الى الطبقة والجنس (ميليت ١٩٧١). (تقصد ميليت بذلك القوة الغاشمة المستبدة فصحيح ثمة مشكلات من الواقع الطبقي في المجتمعات ومشكلات بسبب الاستبداد القومي ولكن لا ننسى معاناة مجتمعات العالم من الأنظمة الأبوية البطرياركية القاسية ـ المترجم).

لقد اعطي مفهوم البرطرياركية الأبوية اهتماما بارعاً من قبل (جو فورد ـ Jo Foord ـ ونيكي جريسون ـ Nick Greson ـ في مقالتهما المهمة المنشورة في (انتيبود ـ Antipode) (انتيبود وهي مؤسسة تضم مركز دراسات وتشجع تطوير البحوث والدراسات العلمية في حقل العلوم الاجتماعية وتمولها). في ١٩٨٦ والتي حددا فيها ان البطرياركية الأبوية هي النسق الشائع في الجغرافية النسوية، وهو حقل الجغرافية الجديد، فمهما اختلف واقع النساء في العالم فان المشترك بينهن هو واقع الأبوية الذي يضطهدهن، فكان هذا الواقع بمثابة الخلفية التي تستند إليها النسوية (فورد وجريسون ـ ١٩٨٦) لقد ركزت مقالتها على ضرورة توحيد النظريات التي تتناول الهيمنة الذكورية في نظرية واحدة متماسكة وهو مالم تعتد عليه حوليات الجغرافية النسوية، إذ أنها اعتادت على استقبال مختلف التنظيرات في شان النسوية واعتادت على الشك في قوتها لتوليد القناعات فهي أساساً تنظيرات ذكورية. استجاب الجغرافيون لهذه المقالة وما ركزت عليه من ضرورة التوحيد النظري للنسوية، وعدت هذه المقالة هي الأولى التي نقلت موضوع النسوية من موضوع نظري صرف الى موضوع سياسي.

النساء يحتجن الى ان يكنّ من اهتمامات الجغرافية ويكون موضوعهن من موضوعات الجغرافية، فكما رأينا ونرى الآن هو اختفاء النساء وجهودهن في حقل الجغرافية، فالأعمال التي تقدمها النساء أما تهمل أولا تقيم أو لا تحصل على كامل قيمتها.

لقد سلط العمل المبكر في الجغرافية النسوية الناشئة. الضوء لحل المشكلات المتعلقة في موضوع (النساء في الجغرافية) وكانت دراسات كل من (زلنسكي ـ ١٩٧٣ ومونك وهانسن في ١٩٨٢ وزلنسكي وهانسن ومونك في ١٩٨٢) قد وجهت بضرورة مشاركة المرأة في أعداد الدراسات الجغرافية من ناحية وبضرورة ان تكون المرأة موضوعا للدراسات الجغرافية، فان زيادة أعداد النساء المشاركات في البحوث والدراسات

سوف تشجع الجغرافيين على اعتبار موضوع النساء من الموضوعات الجغرافية التي تستحق البحث والتحليل:

أحد تعبيرات النسوية هو أجراء البحوث الأكاديمية التي يمكن ان تكشف وتحدد الأسباب التي جعلت حياة النساء دون مستوى حياة الرجال. أنها حالة واضحة فالجغرافية لازالت بعيدة عن تناول موضوعات المرأة فالجغرافية البشرية لم تتناول هذه الموضوعات سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

المقترح لحل هذا الأشكال هو ان دخول المزيد من النساء في أعداد البحوث سوف يشجع الجغرافيين عموما (الذكور والإناث) على أدراج موضوعات المرأة ضمن اهتمامات البحث الجغرافي. ويرى (مونك وهانسن) ان التحيز الجنسي (لصالح الذكور) في البحوث الجغرافية هو تحيز غير مقصود في غالب الحالات.

في ندائهما المبكر للدعوة الى اهتمام الجغرافية بموضوع النسوية رفضا الحاجة الى تأسيس فرع خاص بالجغرافية النسوية واقترحا ان تكون موضوعات النسوية جزء من اهتمامات الجغرافيين بشكل عام (وهو ما تم اعتماده في قسم الجغرافية بكلية الآداب في جامعة الكوفة حيث أنجزت رسالة ماجستير في واقع النوع الاجتماعي (الجندر) في محافظة النجف وأطروحة دكتوراه في النوع الاجتماعي في محافظات الفرات الأوسط في ٢٠٢١ ـ المترجم). ان السبب الذي دعاهما الى رفض فرع خاص بالجغرافية النسوية هو ان الباحثات الجغرافيات في حبنها لا يشكلن سوى اقل من ١٠%، وبما ان المعرفة تتأثر لدرجة كبيرة بالواقع الاجتماعي ونمط الحياة وما ينتج عنهما من وجهات نظر، فلم يكن الوقت قد حان لذلك. ولم تنظر الفلسفات السائدة حين ذاك الى ان أكثر من نصف سكان العالم هم جزء من اهتمامات الجغرافية، سواء الماركسية أو الوضعية أو الفلسفات ذات الأبعاد الإنسانية عموما.

باختصار غالبية الجغرافيين الأكاديميين هم من الرجال وهم يحددون المشكلات البحثية وفق قيمهم وأهدافهم واهتماماتهم وهذا ما يعكس تجربتهم. فالنساء ليس من السلطة ولا مكانة لهن في الوقت الذي يبغى فيه الجغرافيون الرجال السلطة والمكانة وهذه هي الحقيقة. (مونك وهانسن ـ ١٩٨٢-١٢).

ـ الجندر (النوع الاجتماعي) والجغرافية:

يمكن القول ان المفهوم الأكثر أهمية في معجم الجغرافية النسوية وفي معجم النسوية بشكل عام هو الجندر. في غالبية التعريفات التي تعرف هذا المفهوم يلاحظ أنها جميعها تميز ما بين الجندر والجنس وتعتبر الجندر هو صناعة اجتماعية ثقافية للجنس، وبموجب هذا التعريف يبقى الجنس معطى بيولوجي (حيوي ـ عضوي). وهكذا فان الجندر هو بمثابة مجموعة من المعايير والتوقعات المنتجة اجتماعيا حول ما هو رجولي وما هو نسوي. ان الاختلاف بين الجندر والجنس هو اختلاف ناتج عن آليات اجتماعية

معقدة ومتنوعة، ويختلف مستوى هذا الاختلاف زمانيا ومكانيا على انه يمكن تشخيص بعض الآليات بسهولة. لدي ولدان وبنت، أي ثلاثة أبناء وقد نشأوا في أسرة تدرك، المستوى المعقول، للعواقب السلبية للسلوك الجندري النمطي وحاولت الابتعاد عن هذا السلوك (وهو سلوك تفضيل الذكور على الإناث ـ المترجم) ولكن وعلى الرغم من ذلك فقد حصل منذ لحظة ولادتهم وعلى الفور تحديد (نوعهم ـ جنسهم). لقد بدأت فكرة تقسيم الألوان، الوردي للبنت والأزرق للولدان بعيدا عن دليل الألوان القديم وعن محاولتنا توجيههم الى الأصفر والأخضر. وعندما كبروا اتضح ميل الولدان ان يمارسا اللعب بالسيارات وألعاب الحاسوب المتنوعة بينما توجهت ابنتنا الى قصّات القماش وخياطة الملابس لمجموعة الدمى لديها وهن الأميرات. قمنا بقص شعرها وقد تم الظن خطأ أنها ولد في بعض المناسبات فلم ترض على ما حصل وأصرت عل نمو شعرها ليطول بطول شعر (الأميرات).

نطلق على الولد ونصفه بانه شاطر وشجاع بينما نطلق على البنت ونصفها بأنها لطيفة وجميلة. وفي الحقيقة تتلاشى، بعض الأوقات، هذه التقسيمات الجندرية إلا أنها سرعان ما تتكرر، فالجندر موجود في كل مكان.

مع نمونا نحن نتوقع ان نكون ذكورا (إذا ما كنا رجال) ونتوقع ان نكون إناثا (إذا ما كنا نساء) ويرفض المجتمع عادة (باعتبار النساء مسترجلات ـ المترجم) وكذلك يوصف الرجال الباقون بين عوائلهم لرعايتها على انهم (يسلكون سلوكا غريبا فالمتعارف ان الرجل خارج البيت أكثر الوقت ـ المترجم).

ان الاختلافات بين الذكورة والأنوثة هي ليست اختلافات طبيعية بل هي منتج اجتماعي، وأنها تقوم بأسلوب هرمي هيراركي، فالصفات المرتبطة بالذكورة أكثر احتمالا ان تكون ذات قيمة إيجابية من تلك المرتبطة بالأنوثة. يميل الجندر على تفضيل الرجال على النساء (الجمعية الجغرافية الملكية ومعهد الجغرافيين البريطانيين ـ مجموعة دراسة المرأة والجغرافية).

ـ الذكورية في الجغرافية:

يطرح رواد النسوية رايا يرون فيه ان المعرفة استندت الى الجندر، فالأفكار مثل العقلانية والموضوعية والمنطق والسلطة وهي التي تستخدمها العلوم ارتكزت الى التلاعب بالألفاظ، فالموضوعية نغمة غير مجدية كما تبدو على مدى ما نشر. أنها أفكار هي بمثابة مرتكزات تصون الإنتاج المعرفي الذي طرحه الذكور. كذلك فكرة المعرفة العقلانية التي يفترض ان تكون مستقلة عن الموقع والمكانة الاجتماعية وبعيدة عن العاطفة وعن الجسد، أنها فكرة من انتتاج الرجال تاريخيا، أما فكرة الحقيقة والتي يفترض ان تكون ذات سياق مجاني (لم يدفع لأجلها ثمن حتى لا تكون متحيزة ـ المترجم) وذات قيمة حرة وذات موضوعية وذات طبيعة عالمية، فقد تمت بلورتها في الوقت الذي اعتبر فيه الرجال منفصلون عن الطبيعة (في

أوروبا من القرن السادس عشر) وعرفت فيه النساء غير منفصلات عن الطبيعة بل انهن ذات ارتباط قوي بالطبيعة وبالعاطفة والجسد.

عرف هذا السياق التاريخي لنمو العلم ونمو العقلانية الذكورية على أنها قدرة الذكور على الابتعاد عن الجسد بينما وصف النساء غير قادرات على إنتاج المعرفة العقلانية والمعرفة ذات القيمة وتعود عدم القدرة الى صعوبة فصلهن لأنفسهن عن العاطفة والجسد. ومحصلة لذلك شخصت المعرفة التي ينتجها الرجال على أنها معرفة موضوعية وعالمية، وهكذا فهي بالنتيجة معرفة استندت الى استبعاد النساء وكل ما هو أنثوي.

كان لعملية جندرة المعرفة تأثيرين رئيسيين هما:

استبعاد النساء من المشاركة النشطة والفعالة في إنتاج المعرفة، وفي الوقت نفسه استبعاد الموضوعات التي اعتبرت غير مهمة أو غير المعروفة عبر أساليب العلم العقلاني والوظيفي. لقد تمت هيكلة الموضوعات معروفة، وكانت الجغرافية كجزء من نمو وتطور المعرفة منذ القرن السادس عشر فصاعدا محور لإنتاج المعرفة الذكورية، وهنا برزت الجغرافية (جليان روز ـ Gillian Rose –١٩٤٧–١٩٩٥– بريطانية تحمل الدكتوراه بعلم الاجتماع –المترجم) تندد بالحالة الذكورية بقوة. ففي كتابها الموسوم (النسوية والجغرافية) حولت تركيز الجغرافية النسوية من (جغرافية الجندر) الى تحليل دور الجندر في الفكر وفي الجغرافية بالتحديد. لقد ركزت على جندرة الجغرافية أو الجندر في الجغرافية وقد وصلت الى محصلة هي ان الجغرافية ذكورية.

هدف العمل الذكوري ان يكون شاملا قاطعا لا يستطيع أي أحد ان يضيف عليه، وقد ابعد هذا العمل النساء منهن غير قادرات على إنتاج معرفة جغرافية.

لم تتحدث (روز) في المقام الأول عن التاريخ الطويل لأبعاد النساء من معاهد الجغرافية هنا (المملكة المتحدة ـ المترجم) على أنها كشفت ان الفكر الجغرافي بحد ذاته هو أسلوب تفكير يقصي النساء، فالذكورية كأسلوب تفكير حصلت من الجغرافية تعضيدا كبيرا فالمعرفة الذكورية ترى نفسها هي المعرفة دون غيرها.

تزيح المعرفة الذكورية أنواع المعرفة الصادرة عن غير الذكور. فالقضية الرئيسة هي موضوع التمييز القاسي بين من هم من البيض ومن هم من الرجال وبين من هم ليس من الجنس الأبيض، ومن النساء ويضاف إليهم الأطفال والمعاقين فهؤلاء غير جديرين بالتفكير بموضوعية وعقلانية. فالموضوعية والعقلانية يقتصر صدورها من عقل الرجل ولا إمكانية للمرأة ان تصل الى هذا المستوى فهي خارج إطار السببية والقدرة على التحليل بسبب شدة عاطفيتها.

يمكننا ان نرى الذكورية عبر جميع الحلقات المشكلة لقصة الفكر الجغرافي الذي تناولناه منذ عصور قديمة، ولعل كتاب الجغرافية العامة لفارينوس وتقسيم العالم الى شبكة (خطوط الطول ودوائر العرض) لطليموس مثالان جيدان للرغبة في المعرفة. كذلك عالم الجغرافيين المستكشفين الذين انجزوا مهمة المعرفة في تشكيل العالم وتركيبه وتوزيعه وبالتالي فهم نظامه التراتبي الهيراركي. ومن بين التفسيرات الحديثة للعالم هي المادة التاريخية التي طرحها (ماركس) وكذلك الجهود الكبيرة التي قدمها الجغرافيون في وصف الظواهر العالمية المشكلة للعالم.

ثمة مشكلة واضحة تواجه الجغرافيين المهتمين بالجغرافية النسوية وهي موضوع ربط المرأة كفئة (من المجتمع) بالنسوية كتوجه فكري ومنهج عمل، ولا شك ان لهذا الربط أهميته في مواجهة التهميش الرجولي. ولكن ثمة مشكلة أيضاً وهي تعميق حالة الجندر التي صنعتها الذكورية بأساليبها الخاصة.

غالبا ما يكون هذا النوع من التناقض محوريا في طريقة تفكير ومنهج الحركة النسوية، وقد وضحت (روز) في كتابها المشار إليه ابتعاد الأكاديمي عن الواقع الفعلي وعيشه في عالم نظري صرف:

رغبتي وانا طالبة ان أكون جزءا من العالم الأكاديمي، لقد انبهرت وتمتعت بقوة بالنظرية (النظرية النسوية) وانا استمع الى المشرفين والمحاضرين والمدرسين. كنت اصغي الى كل الرجال تقريبا، الى حججهم ومحادثاتهم التي كنت ارغب وبشدة ان احضرها وأناقش فيها انهم رجال معرفة سروري ان أكون بينهم (روز -١٩٩٣-١٥).

رات (روز) ان السعي النظري للنسوية شيء رائع ولكن ثمة أحد يستثنيها ويستثني النساء الأخريات، وهي تصف تنظير الفضاء الجغرافي عمل اقتصر على الأنسان لابيض البرجوازي وغير المتجانس (لا يسمح لغيره) ومن عالم الذكورية، فلا توجد فرصة في هذا الفضاء لغير الرجل الأبيض ولمقاومته، أنها تتساءل، عل سبيل المثال، كيف يكون من الممكن حضور النساء دون الاستناد الى فكرة دور المرأة وفي مثل هذا الفضاء الذي يتسم بهيمنة الذكور.

ـ نظرية المعرفة النسوية:

ان أحد الادعاءات القوية التي يطرحها الجغرافيون المهتمون بالنسوية هي ان النسوية خلقت أشكالا جديدة لنظرية المعرفة والتي هي نظرية تفسر كيف نعرف ما نعرف؟ وهناك عدة مناهج متنوعة لنظرية المعرفة لعل ابسطها هي التجريبية والتي تعني الاعتقاد وبمعرفتنا بالشيء عندما نلاحظه. ولكن ثمة أشياء لا يمكننا مراقبتها مثل الجاذبية والمغناطيسية والعنصرية والاضمحلال والمسافة الطويلة على ان الكثير منا يؤمن بواحدة أو أكثر من هذه الأشياء. لقد رأينا كيف ان (مونك وهانسن) إعتبرا ان المعرفة بناء اجتماعي، فنحن المهتمون بموضوع النسوية وغيرنا نصنع المعرفة ولا نكتشفها ونستفيد من التنوع في

تجارب الناس، لعله من الواضح وجود معارف مختلفة ينتجها أناس مختلفون. ولـ (ميغان كوب) قول مهم وهو (المعرفة ليست شيئا نستحوذ عليه فنحن دوما جزء من إنتاجها وتفسيرها، وبالمثل فان إنتاج المعرفة لا يخلو من قيمة ولا من آليات غير متحيزة).

تشكل وجهة النظر هذه تحديا للاعتقاد التقليدي وهو ان المعرفة العلمية يفترض ان تتسم بالموضوعية وبخلوها من القيمة (الخاصة) ومن التحيز. العديد من المهتمين بالنسوية يعتبرون النظرة التقليدية للعلم هي نظرة ذكورية. يهدف العلم الى ان يكون عالميا ولكن في حقيقة الأمر يتم إنتاجه من مواقف معينة وهي مواقف غير معروفه ولا معترف بها وتحاول ان تكون عالمية. فقد أشرت النسوية ان حقل المعرفة ومنه المعرفة الجغرافية ان ما أنتجه الذكور فهي كل المعرفة ولا غيرها.

هذه الملاحظة كانت محورية في كتاب النسوية والجغرافية للسيدة (جيليان روز) التي ناقشت فيه ما أطلقت عليها سياسات المركز، وهي سياسات تستند الى مصفوفة القوة وهي: الطبقة والجنس (الرس والجنسانية وغيرها بالإضافة الى الجندر. لقد اعتمدت على كتابات (أدريان ريتش ـ Adriene Rich).

يغرقني جدي في تجربة الحياة لاسيما أنى أرى الندوب والتشوهات فتغير الألوان وارى الأضرار وفقدان ما يحلو لي وتراجع العظام وأسناني التي أراجع من أجلها الطبيب مرتين في السنة ومن مرحلة الطفولة، ثلاث حالات من الحمل، التهاب المفاصل التدريجي وأربع عمليات لها، رواسب الكالسيوم المدمرة، لا اغتصاب، لا إجهاض، ساعات طويلة أمضيها بالطباعة على الالة الكاتبة وما الى ذلك (روز ـ ١٩٩٣ ـ ١٣٩).

تعترف هنا (ريتش) بخصوصية جدها، ومكاتبته يؤشر شيئين غير اعتياديين في السياقات السائدة للخطاب العلمي، وهي السياقات الذكورية، أولا وقبل كل شيء أنها تعترف ان المعرفة تنتج داخل الجسد، فهي من الذين يؤمنون يدور الجسد في إنتاج المعرفة، ثانيا ترى ان المعرفة تنتج داخل جسد الأنثى وداخل الأبيض في الولايات المتحدة الأمريكية ولكلتا الصفتين موقعها من هرمية القوة.

تصر (روز) مع مجموعة من الجغرافيين المهتمين بالنسوية على دور القوة التي تتشكل بطريقة مركبة من (الطبقة الاقتصادية الاجتماعية) ومن الجنسانية والقومية والعرق، فمكانة المرأة لا تتحدد بكونها امرأة بل لعناصر القوة الأخرى دورها. فبالنسبة الى (روز) فان مصدر قوتها متعدد العناصر، وقد يكون البعض منها متناقضة متقاطعة. الحقيقة ان هذا طريق من الرؤية غير المجسدة (لا علاقة لها بالجسد) للموضوعية الذكورية. وبذلك يرى البعض من المنظرين ومنهم (ليس نيلسون ـ Lise Nelson) و (جوني سيجر ـ Joni Seaqer) ان (الجسد هو حجر الأساس للنظرية النسوية) (عن: نيلسون وسجر ـ ٢٠٠٥-٢).

يذيب الفضاء الفكري الذي تستند إليه الباحثات النسويات العازل بين التفكير عبر الجسد والتفكير عبر العقل، كما ان طريقة التفكير هذه تتجاهل التمييز بين الفضاء الفعلي والفضاء المجازي، وتصنع هذه الفضاءات المعنى من خلال التجربة والتأويل مما يجعل صداها ثري جدا بالعاطفة وبالتحليل ويتم الشعور بها كجزء من السلطة الأبوية.

استفاد الجغرافيون المهتمون بالنسوية من أعمال (ساندرا هاردنج ـ Sandra Harding ـ ١٩٨٦) و (دونا هرأوي Donna Hraway ـ ١٩٨٨) وهي أعمال متعلقة بالأسئلة الأبستمولوجية (الجذر المعرفي)، وبذلك أنتجوا الفلسفة النسوية للعلم ووصلوا الى نتائج متشابهة جدا لما تعد معرفة جيدة تستند الى الموضوعية.

فقد ناقشت (هاردنج ـ Harding) النظرة التقليدية للموضوعية كمعرفة قد تحققت من وجهات نظر من أي مكان وهي بعيدة عن الذاتية، ذاتية العلماء المعيبة.

لقد دافعت عن (نظرية وجهة النظر) وهي النظرية التي تفترض ان كل معرفة هي صالحة وصحيحة من وجهة نظر صاحبها ومن يطرحها. وان موقع الذكورية هو أحد وجهات النظر هذه إلا ان مشكلته هي عدم الاعتراف بوجهات النظر الأخرى. ان انسب شكل للموضوعية تراه (هاردنج) هو الذي يضم وجهات نظر عديدة، تشمل وجهات نظر الناس العاديين وحتى المهمشين، أنها الموضوعية القوية التي تستند الى مجموعة واسعة من الأسئلة والتفسيرات والى خلفيات مختلفة والى مشاركة باحثين وموضوعات هامشية لأجل تقوية هدف الوصول الى الحقيقة (كوب Cop ـ ٢٠٠٢ ـ ٤٨). في عمل (هاردنج) تم إعطاء وزن خاص لوجهات نظر المهمشين والمستبعدين. وقد طرحت رأيها انه من هذه المواقف يمكن الوصول الى أنواع من الحقيقة غير متوفرة لأولئك الذين في مواقع القوة (السلطة)، من ذلك فان النساء يتمتعن بموقع متميز في المعرفة المتعلقة بالنساء والجندر. ان معرفتهن بهذا الشأن، بكلمات أخرى، هي أفضل من معرفة من هو خارج نطاق النساء. هذه وجهة النظر في المعرفة تناقض وجهة النظر التقليدية التي تقيم المعرفة على أنها موضوعية العالم (ماكدويل Mc Dowell ـ ١٩٩٣) و (فالكونر الهندي ـ Falconer AL – Hindi 2002).

تعكس نظرية (وجهة النظر النسوية) بعدة طرق، نوع وجهة النظر الماركسية حيث لا يدرك طبيعة الرأسمالية سوى البرولوتاريا (طبقة العمال التي لا تملك سوى قواها العضلية ـ المترجم) وذلك بفعل موقعهم من علاقات الإنتاج فيعانون من الاستغلال والاضطهاد.

ثمة طرح مشابه طرحته (دونا هرأوي) فناقشت موضوع معرفة الواقع (هرأوي ـ ١٩٨٨) فهي ترى ان أنواع المعرفة كسياق محدد هي أكثر موثوقة من تلك المعرفة التي تبدو وكأنها عالمية وغير متحيزة. أنها تقترح ان ننأى بأنفسنا عن أية ذريعة لأية وجهة نظر وبدلا من ذلك نحيط أنفسنا علما بوجهات نظرنا المركبة

وبالأسس السياسية والقيم الثقافية ونبدأ من هناك، عند ذاك ستكون النتيجة، كما ترى، معرفة أكثر ثقة وأكثر دقة من المعرفة التي تتظاهر على أنها معرفة عالمية.

ـ الجغرافية النسوية:

لقد رأينا كيف أنتج الجغرافيون المهتمون بموضوع النسوية حالة من الوعي الأكثر للابستمولوجيا في الإصدارات الجغرافية وكيف دافعوا عن إصدارات معرفة الواقع فلقد تم طرح دور الجندر كعامل أساسي في بناء المعرفة. وقد فتحت هذه المواقف النظرية أفاقاً جغرافية جديدة لم تكن معروفة سابقا ومنها جغرافية الخوف، والتعامل المنهجي مع الطبيعة، وجغرافية التنقل، ودور الجندر في التنمية.

ـ جغرافية الخوف:

لطالما كانت الجريمة موضوعا من موضوعات الجغرافية الاجتماعية (بايل ـ Pyle ـ ١٩٧٤) و (هربرت ـ Herbert ـ ١٩٨٢) و (بين ـ Pain ـ ١٩٩٨)، من ذلك نسأل ماذا يمكن لمنظور النسوية ان يضيف لموضوع الجريمة؟ لقد طرحت (سوزان سميث ـ Susan Smith) في ١٩٨٧، ان للنساء خبرة في الجريمة والخوف من الجريمة وبأساليب مختلفة، تلك التي تصدر من الرجال ضدهن. لقد كشفت كيف تعيش النساء في خوف دائم من الجريمة في المدن في الغرب، وكيف يحسبن الاحتمالات لتعرضهن لهجمات عنيفة واغتصاب من خلال تنقلهن اليومي. الى جانب ذلك فأنهن يحاولن عدم الخروج من المنازل ليلا ويبقين في منازلهن (سمث ١٩٨٧). جرائم الرجال ضد النساء تعد من الموضوعات الدائمة في الأدبيات النسوية وقد تم تنظيرها باعتبارها تلعب دوراً أساسياً في إنتاج النظام البطرياركي ـ الأبوي ـ (برأونملر ـ Brownmiller ـ ١٩٧٥)، مع ذلك فان وجهة نظر (سمث) حول خوف النساء من الجريمة لم تطرح أساساً على أنها تخص النسوية (لربما كموضوع اجتماعي ـ المترجم).

يمكن العثور على التنظير النسوي للخوف والجريمة في عمل (راشيل بين ـ Rachel Pain ـ ١٩٩١) وهي قد طرحت ان خوف النساء من الجريمة يختلف تماما من خوف الرجال منها. لقد ربطت الخوف من العنف الجنسي بمسائل أوسع في الضبط الاجتماعي. وقد اشرت (بين ـ Pain) أيضاً ان أساليب تحديد الجريمة غير واضحة وان غالبية جرائم العنف الجنسي لم يبلغ عنها ولا تسجل. وقد تناولت (جل فالنتين ـ Gill Valentine ـ ١٩٨٩ ـ ١٩٩٢) و (لستربورن ـ Listerborn ـ ٢٠٠٢) العلاقة بين جغرافية الخوف وجغرافية الجريمة. لقد عملت (فالنتين) مع مجموعة متنوعة من النساء في مدينة (ريدنج ـ Reading) البريطانية، وقد بحثت في التوزيع الجغرافي لجرائم العنف ضد النساء وأدراك النساء ومعرفتهن لمناطق الجرائم، إضافة الى ذلك حاولت معرفة المصادر التي تعرفت من خلالها النساء على المناطق الخطرة والتي تمارس فيها الجرائم (وهي في الغالب وسائل الإعلام) واقترحت خطوات عملية

لجعل المدن اقل خوفا واقل خطرا. المحور المركزي في عملها كان التصور العام وهو ان الأماكن العامة هي أماكن خطر على النساء بينما توصف الأماكن الخاصة ملاذ امن للنساء (بلنت ودأولنك ـ Blunt and Dowling 2006)، في الوقت الذي تعد فيه الأماكن العامة أماكن للذكور، هذا على الرغم من الحقيقة ان اشد المناطق الرئيسة التي يمارس فيها العنف ضد النساء والاغتصاب هي الأماكن الخاصة وبشكل خاص المنازل، ويعود السبب في ذلك، كما ترى، الى ان أفعال العنف في الأماكن العامة ستكون مكشوفة وبالتالي يسجلها الإعلام بينما تلك الأفعال التي يمارس فيها العنف في الأماكن الخاصة لا يعرضها ولا يسجلها الإعلام. وفي الحقيقة يقود هذا الحال الى أبعاد النساء أنفسهن من الأماكن العامة والاعتقاد ان المنزل هو المكان الأمن لهن. ان عدم التوافق، كما لاحظنا، بين جغرافية الجريمة وجغرافية الخوف تسبب في تحديد مناطق جغرافية للخوف وأخرى للجريمة.

ـ الطبيعة في الجغرافية النسوية:

رأينا في الفصل الثالث كيف اعتبرت الجغرافية دراسة للعلاقات المتداخلة بين البشر والبيئة، ويعبر عن هذا حتى وقت قريب تماما بصيغة (الأنسان والطبيعة) أو بصيغة (الأنسانـ البيئة). وفي الغرب ثمة ربط تقليدي للنساء بالطبيعة منذ عصر النهضة (فتزيمونس ـ Fitzsimmons ـ ١٩٨٩) و (روز ـ Roseـ ١٩٩٣) و (كاستري ـ Castree ـ ٢٠٠٥). لقد جدولت (جليان روز) الثنائية في الفكر الغربي بشكل عام والفكر الجغرافي بشكل خاص الى نصفين غير متساويين:

الطبيعة – الثقافة

المرأة – الرجل

الأنثوية – الذكورية

العاطفة – العقل

الخاص – العام

المكان – الفضاء

ويمكن تمديد هذه اللائحة الى ما لا نهاية عندما نفكر في جوانب أخرى، ابيض واسود على سبيل المثال. ان هدف هذا الفصل هو معرفة كيفية تحديد علاقة الأنثى والمرأة مع الطبيعة هذا أولا، أما ثانيا فهي ملاحظة ان هذه الأشياء هي دوما الجزء الأضعف في الثنائية، وكانت واحدة من اهم المساهمات النظرية في النسوية كما هي ثنائية التفكير في الثقافة ـ الطبيعة التي أخذت موقعا محوريا في الاهتمام.

نقول بشكل عام للنسوية منهجان لفهم العلاقة بين الأنثى والطبيعة الأول لأولئك الذين هم بعيدون عن ربط الطبيعة بالمرأة أما المنهج الثاني فهو تحت مظلة النسوية ودور النساء في البيئة، ممن يطلق عليهم

النسويون البيئيون (المهتمون بموضوع العلاقة بين النساء والبيئة)، ويتلخص دور النساء في البيئة بدور أجسادهن، فمن هذه العلاقة يتم نقد الذكورية، ونقدم لذلك المثال الاتي:

لا شيء يربط الحيوان البشري، الأنسان، والطبيعة بشكل قوي وواضح مثل نظام الأنجاب والأمومة الذي تقوم به المرأة (الأم) فهذا النظام يتيح لها الخبرات لتجديد الحياة من خلال المواليد وباعتبارها هي الأم، فهي بذلك ستكون ابنة الطبيعة، وهنا مكمن قوتها. (كولارد وكونتروسي ـ ١٩٨٨-١٠٦).

ترى (كارولين ـ Caroline) ان هذا النوع من الطرح يستند الى الارتباط الضروري بين بيولوجيا الاختلاف الجنسي وتدمير الأبوية قي المجتمع، كما انه يعطي للنساء موقفا متميزا للنقد والاحتجاج على تدمير البيئة (كارولين نيو ـ Caroline New ـ ١٩٩٧). (باعتبار ان تدمير البيئة ارتبط بالنظام الأبوي ـ المترجم).

نأى بنفسه بعيدا البعض من رواد النسوية ورفض الربط بين النساء والطبيعة بهذه الصورة السهلة. وقد لخصت (بربرا كريجر ـ Barbra Kruger) في تعليقها على كتاب (روز) الموسوم: النسوية والجغرافية بكاركتير يبدو فيه وجه المرأة وعيونها مغطاة بأوراق الأشجار وتحت الكاركتير جملة (لن نلعب بالطبيعة بموجب ثقافتك). بهذا اعتبرت المرأة جزءا من الطبيعة. بعد ذلك كانت ثمة عاقبة إيجابية لأولئك الذين شرعوا مع فكرة وموقف الفيلسوف النسوي ـ البيئي الأسترالي (فال بلموود ـ Val Plumwood) وهي:

ليتم تعريفها على أنها طبيعة يفترض ان تعرف على أنها غير فعالة فلا دور لها ولا موضوع، باعتبار ان الثقافة هي من صنع الأنسان لابيض، الغربي، الرجل على وجه التحديد. يفترض ان تعرف على أنها ارض قاعة فلا هدف ولا معنى لها وتصبح عند ذاك من جملة أغراض أولئك الذين يوصفون بالعقل، وهذا يعني يفترض ان ينظر إليها كجزء منفصل وفي مرتبة أدنى، تتبع هيمنتها، ببساطة، من الطبيعة نفسها ومن طبيعة الأشياء (بلموود ـ ١٩٩٣ ـ ٤).

في كتابها جنون استغلال الأرض تطرح الجغرافية (جوني سيجر ـ Joni Seager) (أستاذه علم الاحياء في جامعة ولاية يوتا الأمريكية ـ المترجم) تحليلا، وفق منظور الجغرافية النسوية للتدمير الذي تتعرض له الأرض ولمحاولات إيقاف هذا التدمير. فهي تتبنى مساقا علميا يتناول العناية بالطبيعة عبر عدة أشكال للنسوية البيئية والامتثال التام للطبيعة. لقد سلطت الضوء على الطريقة التي تدمر بها بعض المؤسسات الأرض مثل الجيش والعمليات العسكرية (عمليات تجفيف الأهوار التي فرضتها الحرب العراقية الإيرانية كما يدعي بذلك النظام السابق، فهذا مثال واضح ـ المترجم) وعمليات الشركات والنشاط البيروقراطي، وهي جميعها مهمات يقوم بها الذكور، وبالمقابل تشير الى بعض المؤسسات التي تعمل على إنقاذ

الطبيعة، وهي مؤسسات علمية ومنظمات بيئية مثل منظمة (الأرض أولا) وهي أيضاً منظمات ومؤسسات ذكورية.

تعد تأثيرات تدهور البيئة تجربة أولى وصعبة للنساء اللائي يحاولن العمل على الحد من هذا التدهور في عالم شديد التلوث ينعكس تلوثه على حملهن وفي عمليات الوضع والولادة. يصعب على النساء الهروب والمغادرة في حالات الكوارث الطبيعية مثل الجفاف والأعاصير. ان هذا الواقع تتم الإشارة إليه ليس كصيغة حجج وإنما هو واقع فعلي تشير إليه الأخبار اليومية. كثيرا ما يتم لوم النساء باعتبارهن يسهمن بتلوث البيئة وذلك من خلال استعمال المنظفات فيحصل بسببها التلوث المنزلي وما يجاور المنزل.

عارضت (سيجر) مبدا الضرورة، فكما لاحظنا فان بعض الجغرافيين المهتمين بموضوع النسوية والذين يوصفون بالنسوية البيئية يرون ان أجساد النساء ترتبط بشكل فريد (بالأرض الأم) ولهؤلاء النساء ارتباط طبيعي وضروري بالبيئة. رفضت (سيجر) وجهة النظر هذه التي تركز على العلاقة الخاصة للنساء مع الطبيعة وان المجتمع البطرياركي الأبوي يقاوم هذا الارتباط. لاحظ الطريقة التي فسرت بها استعارة (الأرض الأم):

الأرض ليست امننا ولا دفيء ولا رعاية من الأرض لنا مالم نتعامل معها بلطف. ان العلاقة مع الأم مركبة ومعقدة مثقلة بالعواطف وبالصراعات، لاسيما تلك العلاقة المتمثلة بين الرجال وأمهاتهم، أنها في حقيقة الأمر ليست استعارة فعالة أمام نشاط البيئة. لقد افترضت توزيعا للسلطة والمسؤولية، أولا ما يؤسس لافتراض خاطئ ومدمر للعلاقة بيننا والبيئة. لابد من فرز من يتحكم بماذا؟ في ازمه البيئة. أنها ليست أداة لتنظيم سياسي فعالة، فإذا كانت الأرض حقا أمنا أذن نحن أطفال ولا يمكن محاسبتنا على أفعالنا. (سيجر ١٩٩٣ –٢١٩).

لقد قدمت (سيجر) أيضاً أمثلة تؤشر حقيقة ان استعارة (الأرض الأم) هي لأغراض الحد من قوة حركة البيئة (منظمات البيئة في العالم ـ المترجم) وذلك عبر الإيحاء بان الطبيعة تقدر على العناية بنفسها. في عام ١٩٨٩، على سبيل المثال، ادلى نائب رئيس شركة النفط (اكسون ـ Exxon) بالحجة الأتية وذلك عقب تسرب النفط من ناقلة تابعة لشركة قبالة الاسكا: أريد ان أشير الى ان الماء يستبدل نفسه كل (٢٠) يوما وكذا هو شان الطبيعة (تشارلس ستر Charles Sitter نائب رئيس شركة اكسون ـ عن سيجر ١٩٩٣ –٢٢١).

طرحت (سيجر) نظرية التموضع إذ اقترحت ان المواقع الفعلية للنساء في العالم وعلاقة تلك المواقع بالطبيعة تسمح لهن بالوصول الى نوع خاص من الحقيقة لا تتعلق بخاصية الضرورة وإنما تتعلق بالواقع الحقيقي للمرأة في عالم غير متكافئ، عالم تأتي فيه المرأة دوما بعد الرجل.

ـ جغرافية الحركة والتنقل النسوية:

كان الجغرافيون المهتمون بالنسوية في طليعة ما أطلق عليها جماعة الحركة والتنقل في علم الاجتماع الحديث وقبل توجههم هذا لا يوجد شيء يطلق عليه الحركة والتنقل أو أنموذج الحركات الجديدة حيث اقتصر الأمر على تحليل النسوية لأشكال الحركة التي تتراوح من حركات الجسد الى أنماط السفر اليومي والى السفر والاستكشاف. لم تتناول التفسيرات التقليدية لأنماط الحركة موضوع النوع الاجتماعي (الجندر) بل استندت الى قرارات الرجل العقلانية للتحرك والانتقال بموجب مزايا نسبية للمكان هنا والمكان هناك. دفع ذلك الى ان يعنون أحد الجغرافيين المهتمين بالنسوية هذه الحركة بحركة الركاب المحايدين (باعتبارهم لا ذكور ولا اناث ـ المترجم).

لقد جاءت اهم الكتابات النسوية التي تناولت موضوع الحركة والانتقال والتنظير فيها من

ـ وولف ـ Wolff ـ ١٩٩٢

ـ بريدوتي ـ Braidotti ـ ١٩٩٤

ـ كابلان ـ Caplan –١٩٩٦

في حين ان دلالة الحركة والتنقل تعني لدرجة كبيرة الحرية والقوة إلا ان المهتمين بالنسوية غير واثقين من هذه المعادلة، اي من هذه الدلالة. على ان البعض يرى فعليا ان النساء يحصلن نسبيا على الحرية بفعل قدرتهن على الحركة سواء داخل المدينة أو خارجها. وقد كتبت بهذا الصدد (روزي بريدوتي ـ Rosi Braidotti) حول حبها للمطارات:

لدي عاطفة جياشة لأماكن الترانزيت (العبور)، المحطات وصالات المطار والترام (الذي ينقل من بوابة لأخرى داخل المطار وهو ما يشبه القطار ـ المترجم) والحافلات المكوكية ومناطق التفتيش، وحيث يتم تعليق الروابط ويصبح الوقت كحاضر متواصل ومستمر، ومكان لا يعود لاحد ولا تعود الأرض ملكية لرجل أو امرأة (بريدوتي ١٩٩٤ –١٨).

هنا يلاحظ إحساس معروف بالانفصال عن الجذور والانتماء وهو إحساس معروف عادة من قبل الرجال، ويرى البعض من الباحثين في النسوية انه إحساس وهمي.

على مستوى الجسد فان بحوث النوع الاجتماعي (الجندر) في جغرافية الخوف التي سبقت الإشارة إليها، تؤشر ان التمشي داخل المدنية ممكن ان يقدم خبرة تختلف بين الرجال والنساء، وهذا الاختلاف كالاختلاف في لون البشرة وفي القابلية الجسدية على سبيل المثال. ويمكن ان تدخل أنماط حركة السفر اليومي حقل النوع الاجتماعي أيضاً ففي حركتهن وتنقلهن تضطر النساء الى القيام برحلة مزدوجة للعمل وللمدرسة والتسوق ومراجعة المراكز الصحية.

يعد تناول هذه الاختلافات الجندرية والعرقية والطبقية من أقدم الموضوعات التي تناولتها الجغرافية النسوية وهي موضوعات ذات تحليل وتفسير معقد. لقد تم الكشف عن بعض هذا التعقيد في دراسات تناولت ركاب الحافلات في لوس أنجلس، فتناولت السكان البيض الذين يستخدمون خطوط سكك الحديد داخل المدينة في تنقلهم من الضواحي الغنية الى مركز المدينة، وهي خطوط تجذب الجزء الكبير من الاستثمارات وعلى حساب الباصات البائسة التي تنقل الناس الفقراء وأبناء الأقليات والنساء، لقد تناولت مثل هذه الموضوعات منظمة راديكالية، ثورية، تسمى (اتحاد ركاب الحافلات ـ Bus Riders Union). تروي (بورجوس و بوليدو ـ Burgos and Pulido) حادثة تلقي الضوء على السياسة الجندرية (التمييز الجنسي) وسياسة الطبقات والتمييز العرقي في حركة النقل داخل المراكز الحضرية، داخل المدن: تكشف جغرافية العمل ورحلات العمل عن تركيبة عرقية وعن تقسيم عمل، فالعاملون في المنازل هم مثال لذلك، تكتظ الحافلات المتجهة الى الضواحي الغنية مثل وادي سان فرناندو أو الساحل الصخري للمحيط الهادي، وغالبية الركاب من العاملات في المنازل (المعينات والخادمات) وقد اندهشت احدى العاملات في مصلحة النقل الحضري (النقل في المدن المتروبوليتان، اي المدن العملاقة وهي عادة التي يقترب عدد السكان فيها من (١٠) مليون نسمة ـ المترجم) من شدة اكتضاظ الحافلات، وقد علق على دهشتها وتعجبها شخص قائلا لها هذه خادمة ذاهبة الى منزلك.

هنا نرى سوء الفهم واضح للطرق التي تتم فيها أشكال النقل الحضري اليومي والمميزة بالجندر والعرق والطبقة الاقتصادية الاجتماعية. هذه الحافلات هي أشكال مختلفة جدا عن وسائط النقل الأخرى مثل سيارات الصالون والقطارات ولها ركابها الذين يختلفون في مساراتهم وفي أسباب تنقلهم. لقد تعاظم إدراك دور الجندر عند العلماء والباحثين وعند غيرهم في تفسير هذه الظواهر على خلاف مما لاحظناه من ممثلة مصلحة النقل التي عبرت عن دهشتها.

ـ منظور الجغرافية النسوية لموضوع التنمية وجغرافية التنمية:

لقد تفاعلت جغرافية التنمية قبل غيرها من فروع الجغرافية مع النظرية النسوية التي ظهرت ونمت في بلدان الجنوب (البلدان النامية). لقد تناول منظور التنمية ومن مختلف المدارس موضوع التنمية بشكل عام دون ان يولوا أي اهتمام لتأثيرات التنمية جندريا، أي على الرجال وعلى النساء. لقد تحدثت بهذا الموقف (استر بوسيرب ـ Ester Boserup) بكتابها الموسوم " دور المرأة في التنمية الاقتصادية " الذي نشر في عام ١٩٧٠ والذي استندت فيه الى إحصاءات الأمم المتحدة ووضحت فيه كيف لعبت المرأة دورا أكثر أهمية في الاقتصادات النامية مما تم الاعتراف به. وقد أشارت في كتابها الى حقيقة ان زيادة التخصص في العمل أبعدت الأسرة كوحدة رئيسة للإنتاج والاستهلاك حيث أصبح الاقتصاد المتخصص يستند الى

السوق، فكان لهذا التحول عواقب وخيمة على المرأة لخصتها (بوسيرب) في مقدمة كتابها لطبعة عام ١٩٨٦.

لقد رافق إليات زيادة التخصص في العمل مسالتان الأولى هي زيادة رصيد العمل واتساع سوق العمل والثانية التكيف التدريجي لتوزيع العمل حسب الجنس، وذلك على مستوى الأسرة وعلى مستوى قوى العمل في السوق وبما ان الرجال هم صانعوا القرار في داخل الأسرة وفي سوق العمل وهم أكثر تعليما وأكثر تدريبا من النساء وكذلك هم اقل تحملا للأعباء المنزلية فهم في هذا الواقع أكثر قدرة على حساب المردودات والنتائج والفوائد من النساء اللائي يقعن في اسفل الهرم في سوق العمل.

بعد نشر كتاب (دور المرأة في التنمية) السابق الذكر طرحت الكثير من القضايا ومنها جمع البيانات الرسمية المتعلقة برب الأسرة، وهو عادة الرجل في الوقت الذي يكون رب الأسرة المرأة في العديد من الأحيان في عالم الجنوب، البلدان النامية، كذلك طرح موضوع تحديد مفهوم العمل، وما الذي يحسب عمل ولا يحسب عمل، وقد اتضح من هذه البيانات ان النساء يقمن بجزء كبير من العمل غير معروف وغير مدفوع الأجر. وقد تم الاعتراف بهذا العمل النسوي في عام ١٩٨٠ على اثر قرارات مؤتمر المرأة الذي عقد في كوبنهاكن الذي كشف ان النساء يشكلن أكثر من ٦٠% من سوق العمل العالمية ويوفرن ٤٤% من الغذاء في العالم (مجموعة دراسة النساء والجغرافية ـ معهد الجغرافيين البريطانيين ـ ١٩٨٤).

مباشرة وبعد نشر كتاب الجغرافية والجندر في ١٩٨٤ أكملت مجموعة النساء والجغرافية في معهد الجغرافيين البريطانيين كتابا بعنوان جغرافية الجندر في العالم الثالث (البلدان النامية) بتحرير من (مومسين وتأونسيند ـ Momsen and Townsend) ونشر في ١٩٨٧. لقد طرح المؤلفان في هذا الكتاب حقيقة ان نظريات التنمية، سواء المؤيدة للرأسمالية أو تلك المناهضة لها، ركزت على العوامل الاقتصادية وبالتالي تفشل في اخذ وضع النساء بعين الاعتبار وهذا يعود الى ان الذكور هم الذين وضعوا هذه النظريات وقد تمت صياغتها من قبلهم. نطرح هنا أفكار الباحثة (فاندانا شيفا ـ Vanadana Shiva) التي تناولت نظرية التنمية، وهي منظرة للتنمية النسوية من الهند، أنها ترى ان النظرة التقليدية الغربية تربط الازدواجية بين المرأة والرجل وبين الشخص، الفرد والطبيعة. بينما ترى النظرة الهندية الكونية وحدة الفرد والطبيعة فكل من المرأة والرجل والطبيعة يكمل بعضهم البعض.

ان الأنطولوجيا الثنائية، أي الفلسفة الثنائية، التي تنظر الى هيمنة الرجل على المرأة والطبيعة تعرقل التنمية باعتبارها تحصر دور التنمية بالرجل مما يجعل واقع المرأة والطبيعة في عالم الجنوب، البلدان النامية، بعيدا عن التنمية ومشروعاتها. هكذا نرى ان (شيفا) قد رات في التنمية ليست مجرد تنمية اقتصادية. وقد صدرت نظريات تنموية مختلفة من بلدان متنوعة ومنها بلادها الهند.

ان أكثر الدراسات والبحوث حول الجندر والتنمية توجهت لنقد تلك الدراسات التنموية التي أغفلت موضوع الجندر وركزت على مسائل القومية وما بعد الاستعمار والتي في حقيقة الأمر اهتمت بموضوع اقتصادات الشمال واقتصادات الجنوب والعلاقات بينهما. واليوم يوجد اضب غني يتناول موضوع الدور المعقد للجنس (للجندر) في العلاقات الدولية. لقد قدمت (جونيتا ساندبيرج ـ ٢٩٩٦ ـ Juanita Sundberg) دراستها التي تناولت الحفاظ على البيئة في غواتيمالا (أمريكا الجنوبية) وقد أشرت دور الجندر وتقاطعه مع أنظمة القوة الأخرى في تشكيل هويات مركبة ومعقدة وأحيانا متقاطعة. أخذت (ساندبيرج) من محمية (مايا) الطبيعية في غواتيمالا مكانا لأجراء دراستها وأوضحت كيف عملت النساء الغواتيميليات الأصليات وتفاعلهن مع الرجال الأصليين (بيولتزا ـ Bioltza) ومع أعضاء من منظمة غير حكومية وهي واحدة من أعضاء هذه المنظمة، كباحثة بيضاء، على انقاذ نباتات (ايتزا ـ Itza) الطبية من الانقراض. لقد كشفت ان الجندر والعرق يبدو ان دوما في علاقة متداخلة مستمرة، وكيف ان الإداريين الذكور البيض شكلوا من السكان الأصليين المهمشين تاريخيا منظمة تقوم باستثمار الأموال من NGO في مشروعات محلية مثل أنشاء محمية للغابات دون مشاركة للنساء على مستوى الإدارة. تبعتها بعد ذلك تشكيل مجموعة نسائية مهمتها تعزيز المعرفة الطبية للنباتات المحلية. تستمر الدراسة عبر سلسلة من اللقاءات تتداخل فيها باستمرار قضايا الجندر والعرق. وهنا سأركز على اللقاء الأول:

في لقائها الأول وصفت (ساندبيرج) اجتماعا دعا النساء لاجتماعهن الأول مع المنظمة غير الحكومية (Cl/ Propeten) وكان باشراف (روزاليا ـ Rosalia) وفيه دعت احد المشرفين على محمية (بيولتزا) وهو أكيد (دون جيمي ـ Don Jaime) للتحدث الى المنظمة غير الحكومية وليعلن عن موافقة النساء على ممارسة دورهن في انقاذ النباتات ذات النفع الطبي وذلك لما لهن من معرفة محلية تقليدية قديمة عن هذه النباتات وعن كيفية الاستفادة منها، وقد أشارت له ان يتجنب ذكر الطب الغربي ليكون واضحا لهذه المنظمة أنهن من النساء الأصليات في هذا البلد وانهن على اتصال وثيق بالطبيعة يستفدن من منتجاتها ويقمن ببيع هذه المنتجات من الأعشاب الطبية.

على الرغم من ظهور عدد من الآليات المهمة فانا ارغب ان أسلط الضوء على الكيفية التي تمت بها عملية إقرار بعض الأداءات في هذا الاجتماع، تلك التي ربطت الجندر بالعرق وبطرق متناقضة، ولعل اهم العناصر وأكثرها مثيرة للانتباه تلك التي أكدت وإعادة تأكيد التفوق الذكوري. وعلى الرغم من إدارة (روزاليا) هذا الاجتماع فان (دون جيمي) نهض في القاعة وبدا بنصح النساء حول كيفية تشكيل هويتهن الجندرية والعرقية، وقد أكد أهمية النساء منهن أكثر نشاطا ويفترض ان يشمل اهتمامهن كلا الجنسين، على العموم تعمل رواياته وسردياته على استنساخ الأبوية بحجة الحفاظ على التقاليد.

على الرغم من المحاولات لتحقيق هدف الاجتماع فان البعض من النساء كان لهن هدف أخر وهو توفير الفضاء لتغيير العلاقات بين الجنسين. بدا واضحا في هذا اللقاء ان أنظمة القوة المتداخلة قد شكلت عبر تاريخ من الجنسانية والعرقية هويات الجندر والعرق غير المتساوية. يؤسس (دون جيمي) لدور لهيكل السلطة الذكورية وهو يرشدهن كيفية اللعب بهويتهن الأصلية بطريقة تؤكد مكانتهن الدونية كما يصر على النساء لإعادة دورهن الجندري كمعالجات (بمعنى يضطر الآخر الاستعانة بهن ـ المترجم)، ومع ذلك فان مجموعة النباتات الطبية خلقت حيزا يتيح للنساء فرصة تبعد هيمنة الذكور وإعادة تشكيل العلاقات الجندرية (ساندبيرج ـ ٢٠٠٦-٥٢) وتستمر (ساندبيرج) على طريق استكشاف لقاءات أكثر تضمها هي المرأة البيضاء أيضاً والتي اتفقت مع الدور الذي قدمه احد الوافدين الذي كانت لديه القدرة على مد يد المساعدة للنساء الأصليات (من أهل البلد الأصليين ـ المترجم) العاجزات.

تقول (ساندبيرج) ان البحث قادها الى ان تعتبر دورها، وهي المرأة البيضاء، إيجابي في آليات الدراسة لهذا الموضوع، الى جانب التفاعل مع موضوع العلاقات المتداخلة العامة بين الجندر والعرق ودورهما في مشروعات التنمية.

ان هذا النوع من البحوث النسوية هي محصلة لطريق طويل لإصرار النساء على إدخال موضوع المرأة ومن ثم الجندر في مشروعات التنمية بشكل جاد. لا تركز أعمال النسوية بالضرورة اليوم في عالم الجنوب على التنمية في حدودها وإنما تتناول هذه الأعمال التداخل بين أشكال الهويات المتعددة، العلاقات بين الشمال والجنوب (البلدان المتقدمة والبلدان النامية) وعلاقات الجندر وغيرها من الهويات.

ـ الاستنتاجات:

الجغرافية النسوية والاختلاف:

ما سبق ان أشرنا إليه حول الجغرافية النسوية يمكن ان يؤشر لنا عمليا ان التركيز على موضوع الجندر هو ليس مجرد إضافة موضوع. هذا التركيز الطريقة التي تدرس بها جغرافية العالم وأساليب دراستنا له. ويكشف هذا التركيز سياسات النضال الفعلي التي يمارسها العالم. في الوقت الذي بدأت فيه النظرية النسوية بدراسة الاختلافات بين الجنسين (الذكور والإناث) فأنها لم تتوقف عند هذه الحدود.

فمنذ مطلع التسعينات (من القرن الماضي) طرح الجغرافيون المهتمون بموضوع النسوية موضوع الاختلاف الجنسي (الجندري) بشكل صريح وحاد. فالنساء كما أوضحت دراسات (ساندبيرج) هن لسن نساء فقط وإنما هن طبقة وجنس (جندر) وعرق في لزوم تجنب التواطؤ مع العرقية والمعايير غير القياسية في آليات بناء الجغرافية النسوية، كما أصرت على أهمية التفكير بثنائية الجنس (الجندر) وعبر

الهويات المتعددة وضرورة تبني الاختلاف الجندري وعدم أنكاره، فان تبني الاختلاف يمكن ان يزيح الذكورية.

في الآونة الأخيرة، على سبيل المثال، أشرت (كاترين مكترك ـ Katherine Mckittrick) غياب اصوات السود وموضوعاتهم في الجغرافية ليس غياب في الجغرافية العامة فقط بل غياب في الجغرافية النسوية أيضاً. عندما تكون اسود فانت تختلف كما هي المرأة تختلف وعندما تكون امرأة سوداء فهذا مركب كبير للاختلاف. (ماكتريك ـ٢٠٠٦).

تواجه النظريات النسوية دوما السؤال في ما إذا كان من الممكن أو لم يكن استخدام نظريات النهايات المفتوحة والأساليب التي لها جذور في طرق المعرفة الذكورية. وهم أيضاً يتساءلون فيما إذا كان من الممكن استخدام النظريات التي لم تنظر الى الجندر ولا الى الاختلاف الجندري، ويتساءلون إذا كان من الممكن تطوير نظريات نسوية ترفض التقاليد السابقة كليا. لم تكن (روز) الوحيدة التي عانت من حالة التناقض باعتبارها جزءا من مشروع تاريخ طويل ذكوري ونظريات ذكورية وواقع ذكوري.

كتبت (ليندا ماكدويل) عن هذا التناقض الاتي:

بوصفنا أكاديميين مهتمين بموضوع النسوية فأننا داخل وخارج الموضوع، بالطبع ان توجهنا لموضوع النسوية يجعلنا نكسب أصواتا مؤيدة. من الصعوبة التحقق من وجهات النظر النسوية ومن الصعوبة نقد الأكاديمية، فالبعض منا يتحمل مخاطر مواقفه وقد يخسر وقد يربح. أننا لا نقدر ان نتجاهل مواقعنا كجزء من الهيكل الأكاديمي كما لا نقدر تجاهل قوة النساء (ماكدويل – ١٩٩٢– ٥٩).

بالنسبة الى (جليان روز) تتشكل الهويات الجندرية أكاديميا عبر العمل الأكاديمي نفسه وأيضاً عبر الأحداث اليومية الصغيرة التي تعزز دور الجندر في الحياة الأكاديمية: فلعل لوحة الصور التذكارية (تلك التي تخص ملاك القسم من التدريسيين ـ المترجم) تضم عادة غالبية من التدريسيين الذكور (روز ـ ١٩٩٤ ـ ٥٠٧). ويبدو من المناسب ان ننتهي الى امل ان الحساسية المتضائلة من النسوية داخل موضوع ذكوري سوف يفتح إمكانيات جديدة لكل من النسوية والجغرافية.

هل سيحصل، ربما، شيء ما ويعد أمرا جديدا تماما، لا استقصاء ذكوري أو اختراق في حقل الجغرافية ولا دخول واسع متناغم للنسوية بل تعطيل لموضوع الجنسانية أكاديميا، وهل ان مثل هذا الاضطراب مدمر؟ والان أنا لا أود ان ادفع بهذا الموضوع بعيدا جدا، ولكن لكي نستعيد شيئا من صعوبة الاعتراف، كون المرأة أكاديمية، فانا أعجب أنها ترغب ان تكون قليلة الشأن ويمكن تجاهلها، كما يعني ذلك أنها قد تعمل شيئا كبيرا وهي غير واثقة من نفسها وقد يصعب تجاهلها لا بفعل اعتبارها بل لكونها صاحبة مشاكل في بعض الأحيان.

تعليق المترجم:

بدءا نشير الى ما يقصده الجغرافي الإنجليزي (تم ـ Tim) الأستاذ في جامعة (إيبرسويت ـ Aberystywth في ويلز ـ Wales ـ المملكة المتحدة) من الجغرافية النسوية، في هذا الفصل من كتابه الفكر الجغرافي / مقدمة نقدية، انه يقصد بها الأعمال الجغرافية التي تقوم بها النساء، من تدريس وألقاء محاضرات عامة ومن أعداد بحوث ودراسات علمية وتأليف كتب الى جانب المسوح ذات الطبيعة الجغرافية، سواء كان عملن في الميدان الأكاديمي في الجامعات أم في وزارات ومؤسسات حكومية أو غير حكومية.

نعتقد ان البيانات الإحصائية التي ذكرها الباحث بداية الفصل لا تغطي الواقع الفعلي، فالتحرش الجنسي لا يقتصر، على صعيد العالم، على نسبة (٣/١) النساء بل يتجاوز هذه النسبة كثيرا ولكن يبدو ان نسبة النساء اللائي يتعرضن للتحرش الجنسي ويقدمن الشكاوى محدودة جدا لاسيما في بلدان الجنوب وأسباب امتناعهن عن تقديم الشكاوى تتعلق (بالسمعة التي تسبب لهن نظرة مجتمعية سلبية. أما هروب النساء وتجارة الجنس فلا متابعات إحصائية لها في عالم الجنوب.

بصدد اختلاف أجور العمل وتفضيل الذكور ففي الواقع العراقي بل والواقع العربي عموما الأجور واحدة ومقننه وفق التشريعات إذا ما كان مكان العمل تابعا للدولة ولكن في قطاعات العمل غير الحكومي فقد يحصل مثل هذا الاختلاف وهي قطاعات محدودة اذ يعمل الغالبية من قوى العمل لدى الدولة، مما يجعل التأثير في اختلاف الأجور في عالمنا الجنوبي اقل بكثير مما هو عليه في عالم الشمال الرأسمالي.

يرى الباحث ان العالم وكأنه يسير ضد النساء، نعم لابد وان العالم الغربي، عالم الرأسمالية المتوحشة اليوم، يسير باتجاه ضد النساء وضد جميع من يعتقد انهم ضعفاء، النساء والملونيين والمهاجرين الجدد وغيرهم، فالمهم في مبادئ الاقتصاد في هذا العالم الغربي هو مزيد من الربح عبر مزيد من الاستغلال. في عالمنا الجنوبي لازالت البرجوازيات الوطنية لم تصل الى مستوى الرأسمالية ومع ذلك حصلت تشريعات إيجابية لصالح العمال، ففي العراق على سبيل المثال شرعت قوانين العمل، وقت العمل اليومي وأجور العمل، فالذي حصل هو تحديد ساعات العمل (٨) ساعات بعد ان كان العامل يبدا العمل من شروق الشمس ويستمر حتى غروبها.

في موضوع النسوية يشير الباحث الى ان النسوية مفهوم لا يستسيغه الطلبة الذين يدرسهم ولا يفهمونه، نعم وفي بلادنا يعد مفهوم (مستورد) وتجب محاربته، فهو لا يتوافق مع العرف والتقاليد. نقول هذا صحيح بالنسبة لما واجهه السيد (تم) وما يواجهه المفهوم في بلداننا وذلك لأنه منهج دقيق جدا في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسة والبايولوجية، ولأنه أسلوب علمي يكشف عيوب العلاقات الجندرية،

علاقات الرجال والنساء، التي اعتدنا عليها وشكلت الثقافة السائدة التي تربت عليها أجيال وأجيال عبر زمن طويل.

أسماء النساء الجغرافيات الغربيات المعروفة محدودة العدد، فنحن تخرجنا من جامعة بغداد في ١٩٦٥، وبعد دراسة (٤) سنوات لم نعرف سوى (مس سمبل) الجغرافية الأمريكية التي تؤمن بالحتمية Determinism أما لماذا لم نتعرف على أسماء النساء اللائي قدمن إسهامات كثيرة في حقل الجغرافية الغربية فلم نكن نتوقع ان وراء غيابهن أسباب الجندر.

نشير الى واقع المرأة العراقية في أقسام الجغرافية، فمنذ عام ١٩٤٨ تم شطر قسم العلوم الاجتماعية في دار المعلمين العالية الى قسمي التاريخ والجغرافية ومن ذلك التاريخ وقريبا منه تأسست كلية الآداب ومن أقسامها كان قسم الجغرافية. كان عدد الجغرافيين العراقيين يومذاك محدود جدا وكان من بينهم الأستاذة ناهدة الطالباني وفي نهاية عقد الستينات عرفت مريم فتاح، وكلتاهما كرديتان من كردستان العراق. ازدادت أعداد النساء في الملاكات التدريسية لأقسام الجغرافية في جامعات بغداد والموصل والبصرة والمستنصرية. واليوم عددهن في جامعة (هولير) أربيل أكثر من نصف الملاك وفي كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة أكثر من ٦٠% وبكلية الآداب في نفس الجامعة ٢٤% وفي السنوات الخمس الأخيرة درست في السنة التحضيرية أكثر من (٥٠) طالبة دكتوراه في كلا القسمين في التربية للبنات والآداب. وتتناوب على رئاسة قسم الجغرافية بكلية التربية للبنات نساء من حين لآخر وحاليا تراس القسم الدكتوره عتاب وكانت قبلها الدكتورة ضلال كاظم وقد تراست قسم الجغرافية في الجامعة المستنصرية الدكتورة سباهية يونس، وحاليا تراس القسم في جامعة بابل الدكتورة أميرة عبد الأمير الأسدي. وفي خارج أقسام الجغرافية تولت الدكتورة بتول بناي رئاسة قسم التربية وعلم النفس في جامعة البصرة والدكتورة زينب مرجان رئاسة قسم التاريخ في نفس الجامعة. كما تولت عمادة كلية التربية للبنات في جامعة الكوفة الدكتورة أيمان الحلو (فيزياء) والدكتورة ظافرة جعفر (علوم الحياة) والدكتورة ابتسام المدني (لغة عربية) عمادة كلية التربية الأساسية. وفي الحقيقة لم نحاول ان نبذل المزيد من الجهد لمعرفة أعداد النساء الأكاديميات والجغرافيات على وجه التحديد، وهي أعداد ليست صغيرة.

لا يقتصر حال الأكاديميات في العالم العربي على العراق فحسب بل لهن باع طويل في جميع الجامعات العربية أيضاً ولا يتسع المجال هنا الى تناول هذه الأعداد النسائية الكبيرة وذات الأثر الفعال في حقل الجغرافية. نشير على سبيل الذكر الى العالمة الكبيرة الأستاذة (دولت صادق) في جامعة عين الشمس وهي من أعلام الستينات والسبعينات والدكتورة كوثر رسول ـ جامعة القاهرة والدكتورة امل الصباح ـ جامعة الكويت والقائمة طويلة.

تشارك الجغرافية المرأة في النشاطات الجغرافية كافة، نشر البحوث والدراسات العلمية وتأليف الكتب ومناقشة الرسائل العلمية والاطاريح وأعداد التقارير العلمية من قبل من يعملن خارج الجامعات، لا يوجد ثمة شعور بالسلوك الجندري داخل الجامعات العراقية فلم اشعر بمثل هذا التوجه منذ ستينات القرن الماضي وانا مع الجغرافية في جامعات بغداد والسليمانية والبصرة والقادسية والكوفة، كما لم اشعر بهذا التوجه أيضاً في جامعة وهران ـ الجزائر ولا في جامعة عدن ـ اليمن ولا حتى في جامعة أديس أبابا ـ أثيوبيا حيث ألقيت عددا من المحاضرات على طلبة الماجستير في كلية العلوم الاجتماعية / قسم الجغرافية.

إذا ما أضطر معهد الجغرافيين البريطانيين الى إصدار بيان يعلن فيه رفضه لاي بحث مكتوب بلغة الإقصاء للنساء والملونيين فان جامعاتنا العراقية بل العربية عموما لا تحتاج الى مثل هذا البيان اذ لم يعرف الأكاديميون العراقيون والعرب منهج أقصاء المرأة وأقصاء أبناء القوميات الأخرى المتعايشة مع العرب لم يخطر هذا السلوك على بال أي أكاديمي أطلاقا. صحيح ان الذكورية لا زالت سلوك في المجتمع العربي إلا أنها لم تتمكن من فرض شأنها في الأفق الأكاديمي.

حول عالم النسوية في الغرب ظهرت عدة نظريات أسست لعدد من الحركات. أما في العراق والعالم العربي عموما فقد ارتبطت النسوية بالحركات والأحزاب السياسية فكانت جزءا مهما من عقيدة هذه الأحزاب وأيدولوجيتها. لقد اعتبرت قضية المرأة جزءا من النضال الوطني والقومي وأدركت الكتل والأحزاب الوطنية ان لا تقدم من دون تقدم المرأة وتطوير مكانتها ودورها في الحياة السياسية بل في الحياة العامة.

منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر رافق تحول الاقتصاد العربي من اقتصاد معاشي الى اقتصاد السوق بعض التحولات التدريجية والبطيئة في الجوانب الاجتماعية من بينها تنامي الوعي حول (قضية المرأة) ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع.

تعد مصر البلد العربي الأول في مثل هذه التحولات بفعل ما نتج من حملة نابليون عليها من انفتاح. تبعتها بلدان الشام (سورية ولبنان وفلسطين والأردن). كما حصل الانفتاح الاقتصادي والتحول الاجتماعي في بلدان المغرب العربي بفعل القرب الجغرافي من فرنسا.

طالبت النخبة العربية أولا بتحرير المرأة من الأمية (الأبجدية) (١٨٥٠-١٩٤٠) بعدها دخلت هذه النخبة مرحلة العمل على المساواة بين الجنسين (١٩٤٠- ٢٠٠٠) ثم دخلت مرحلة المطالبة بتمكين المرأة وتحقيق الشراكة (٢٠٠٠- ٠٠٠٠). من الأسماء الأولى التي اهتمت بقضية المرأة رائدة حقوق المرأة في مصر هدى شعرأوي ومن الرجال المصري قاسم أمين وفي العراق يؤشر تاريخ الحركة النسوية عدداً من

الأسماء نشير منها الى خانم زهدي وسافره جميل حافظ وبشرى برتو ونرجس الصفار ونزيهة الدليمي التي استوزرت وزيرة للبلديات في ١٩٥٩ وتعد أول وزيرة في العالم العربي.

شكل الحزب الشيوعي العراقي رابطة الدفاع عن حقوق المرأة وهي اليوم باسم رابطة المرأة العراقية كما شكل حزب البعث العربي الاشتراكي اتحاد النساء العراقي، واليوم ثمة عدد كبير من المنظمات النسوية، من منظمات إسلامية الى منظمات عربية وثالثة يسارية ورابعة ديمقراطية.

لا نرى ثمة تبرير علمي أكاديمي لتأسيس فرع للجغرافية النسوية. فالجغرافية واحدة سواء كتبها الرجال أم كتبتها النساء، ولكن لعلها من الضرورات العلمية الاهتمام بقضايا الجندر والنسوية ضمن حقل الجغرافية البشرية وجغرافية السكان على وجه التخصيص. وفعلا شجعنا على تناول هذا الموضوع في قسم الجغرافية في كلية الآداب حيث تم أعداد رسالة ماجستير في النوع الاجتماعي في محافظة النجف ومن ثم أعداد أطروحة دكتوراه في النوع الاجتماعي في محافظات الفرات الأوسط.

لم تظهر أية محاولة لجندرة المعرفة والعلم في الجامعات العراقية بل والعربية عموما فمنذ تأسيس جامعة القاهرة عام ١٩٠٨ باسم جامعة فؤاد الأول ثم باسم جامعة القاهرة ١٩٥٢ والتي تعد اقدم جامعة عربية، وتأسيس كليات الطب والحقوق ودار المعلمين العالية بين (١٩٢٧ -١٩٢١-١٩٢٣) في العراق لم تظهر أية محاولة لجندرة المعرفة والعلم.

وبصدد جغرافية الجريمة فأنها من الحقول التي اهتمت بها الجغرافية العربية وتناولتها كثيرا ولكن لم يحصل للجغرافيين في عالمنا العربي من الإناث والذكور ان يتأولوا جغرافية الخوف وبالصيغة الجندرية التي تمت الإشارة إليها. على ان الخوف والحذر الشديد من قبل النساء عند خروجهن من المنزل امر وارد ومعروف، فهي معاناة، كما تبدو، لجميع النساء وفي جميع مدن العالم، الشمال والجنوب.

بصدد علاقة المرأة بالطبيعة وكونها أقرب إليها من الرجل فنحن نرى ان للمرأة علاقة بالطبيعة كما هو الرجل وللطبيعة علاقتها بالبشر ككل رجال ونساء ولعله من الصواب تدمير الطبيعة بسبب الرجل ولكنه ليس لكونه رجل بل لكونه أداة للرأسمالية التي تفكر بالربح وزيادة الربح ولا تفكر بتدمير الطبيعة.

ونحن مع الطبقية في جغرافية النقل والانتقال فصحيح ثمة من ينتقل بأفخم السيارات وأرقى حافلات النقل العام والقطارات ومن ينتقل عن طريق الجو وأحيانا بطائرته (الخاصة). فما أشير عن تراتبية وسائط النقل في مدينة (لوس أنجلس) هي إشارة صحيحة ودقيقة فهي تراتبية هي طبقية أكثر من كونها جندرية وعرقية.

وعن التنمية فكل ما أشير حولها صحيح اذ لا نجاح لآية خطط تنموية في بلدان الجنوب مالم تأخذ في الاعتبار موضوع النوع الاجتماعي وموضوع تنمية واقع ومكانة المرأة داخل الأسرة وفي المجتمع.

نحن أبناء الجنوب من الأكاديميين ندرك تماما ان لا تقدم لمجتمعاتنا واقتصاداتنا إلا بتقدم المرأة التي تشكل أعدادها إحصائيا نصف المجتمع وتشكل القاعدة الفعالة للبناء والتنمية فمعوقاتنا للتقدم هي معوقات اجتماعية أكثر من أية معوقات أخرى، وموضوع النوع الاجتماعي هو محور هذه المعوقات الاجتماعية.